

برنامج أنوار كاشفة سلسلة الموعدة على الجبل الحلقة الخامسة

صديقي المستمع ، ما هو الأساس الذي تنطلق منه في تقييم أعمالك ؟ أو ما هو المقياس الذي تستند عليه في معرفة صحة أو خطأ تصرفاتك ؟ قد يجيب بعضهم أن ضميرهم هو المقياس الذي يقيمون على أساسه سلوكهم . وهناك من يعتبر القيم الدينية ووصايا الله كما جاءت في الكتب المقدسة هي الأساس في ذلك . وآخرون يظنون أن المفاهيم التربوية التي نشأوا عليها هي التي تحدد لهم مفاهيم الصواب والخطأ .

وفي أيامنا الحاضرة أخذت تنتشر مفاهيم جديدة خاصة بين أفراد الجيل الناشئ . وهذه المفاهيم تنطلق من الإدعاء القائل بعدم وجود شيء اسمه صواب أو خطأ ، لكن الأمر يعود إلى الإنسان نفسه . فما يناسبك شخصياً وترتاح إليه هو الصواب وما يزعجك ويضايقك هو الخطأ . وأنت هو الذي يقرر ذلك ولا وجود لأي مقياس تستند عليه ، أو مفاهيم معينة مهما كانت تنطلق منها . فهل هذا صحيح يا ترى ؟ وأين هو المقياس الصحيح ؟

لعل المشكلة في أيام المخلص المسيح كانت على عكس ذلك ، إذ كان هناك معلمو الناموس ورجال الدين المتعصبون من اليهود . وهؤلاء كانوا يطلبون من الناس التقيد التام ليس بوصايا الله فحسب ، بل بالشرائع التي وضعوها هم . والأدهى من ذلك أنهم أنفسهم لم يكونوا يسيرون بموجبها . وهنا ظهر ما نسميه بالتدين اللفظي الخارجي والمراعاة . أي كان على الإنسان أن يحاول الظهور بأحسن ما يكون أمام الناس الآخرين ، وليس مهماً ما يفعله في الخفاء .

ولهذا نجد المخلص المسيح يهاجم هذا النوع من التدين المزيف مرات عديدة ، ويدعو إلى التدين الحقيقي الذي يرتكز على مفاهيم إلهية صحيحة . لكن هذا المفهوم الروحي الجديد الذي أخذ المخلص المسيح ينادي به ، أنشأ نوعاً من الالتباس في أذهان السامعين . إذ ظن الكثيرون أن المسيح يدعو إلى وصايا إلهية جديدة ، وأنه بالتالي ينقض الوصايا التي أنزلها الله على كليمه النبي موسى . فهل هذا صحيح يا ترى ؟

في موعظته على الجبل انتقل المخلص المسيح لمعالجة هذه المشكلة بالذات فقال : " لا تظنوا أنني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض بل لأكمل . " (متى ٥: ١٧) أجل لم يأت المسيح إلى عالمنا لكي ينقض الناموس الذي وضعه الله للإنسان ، أو لينفي ما دعا إليه أنبياء العهد القديم ، بل أتى لكي يكمل . وتعبير يكمل هنا لا يعني أن ناموس الله كان ناقصاً وأن المسيح أتى لكي

يكمله ، كلا . إنه يعني أن المخلص المسيح قدم لنا المعنى الروحي الحقيقي لوصايا الله ، وكشف لنا بالتالي الوسيلة الصحيحة لتطبيق ناموس الله في حياتنا .

وعلينا أن لا ننسى هنا أن المخلص المسيح نفسه قد أكمل الناموس والأنبياء بشخصه ، فهو الإنسان الوحيد الذي استطاع تطبيق الناموس . وهو الذي أتم النبوءات بعمله الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات . وتأكيذا لما ذكرناه قبل قليل نجد أن المخلص المسيح في موعظته على الجبل شرح لنا ماذا يقصد بقوله أنه أتى لكي يكمل الناموس والأنبياء . إذ قدم لنا أمثلة عملية توضح لنا المفهوم الصحيح والحقيقي لوصايا الله .

بدأ المخلص المسيح بالحديث عن الوصية السادسة والتي نقول : " لا تقتل " فقال : " قد سمعتم أنه قيل للقديس لا تقتل . ومن قتل يكون مستوجب الحكم . أما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم . " (متى ٥: ٢١ و ٢٢) من المعروف أن عملية القتل لا تحصل فجأة بل تسبقها مقدمات وتحضيرات قد تؤدي إلى القتل . وهذا هو بالضبط ما قصده المسيح هنا . إذ أنه وضع إصبعه على أساس المشكلة وجوهرها أو الدافع الحقيقي وراءها .

إن القتل هو نتاج الغضب ، فإذا أردنا وضع حد لمشكلة القتل علينا أن نعالج أولاً ظاهرة الغضب التي تتأجج في أعماق نفوسنا . وبتعبير آخر إذا أردنا أن نتجنب القتل علينا أن لا نترك نفوسنا تتساق وراء مشاعر الغضب . وأن نعلم أن الغضب على إخوتنا البشر هو أيضاً عمل خاطيء وليس القتل فقط . هذا هو حقا المفهوم الصحيح لوصايا الله الذي قدمه المخلص المسيح لنا ، وهو أيضاً مستوى أعلى وأعمق من المستوى الذي كان سائداً في ذلك الزمان .

لكن هل بمقدور الإنسان أن يطبق هذا المفهوم الصحيح على حياته ؟ بصراحة نقول كلا . وهنا تأتي نعمة الله عن طريق المخلص المسيح لكي تعطينا القوة التي نحن بحاجة إليها حتى نستطيع السلوك بموجب وصايا الله بالفعل . وبتعبير آخر إننا بحاجة إلى قوة روح الله القدوس التي تجدد حياتنا من الداخل ، وتجعلنا قادرين على صنع مشيئة الله في حياتنا .

انتقل المخلص المسيح بعدها للحديث عن وصية أخرى وهي الوصية السابعة القائلة : " لا تزني " فقال : " قد سمعتم أنه قيل للقديس لا تزني . وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتتها فقد زنى بها في قلبه . " (متى ٥: ٢٧ و ٢٨) إن فعل الزنى لا يبد أن تسبقه الشهوة . وكما ذكر الرسول يعقوب فيما بعد أن الشهوة إذا حبلت تلد خطية . إن الشهوة إذن هي المكان الذي تنطلق منه خطية الزنا . وهي الأمر الذي أراد المخلص المسيح التركيز عليه .

وبحسب كلام المسيح والمفهوم الصحيح الذي أعلنه لوصية الله فإن خطية الزنا تحصل أولاً في القلب عندما ينظر الإنسان للمرأة ويشتهيها ، حتى وإن لم يحدث فعل الزنى بعدئذ . وإن على الإنسان بالتالي أن يحارب الشهوة عندما تبدأ وقبل أن تصبح خطية في نظر الله . إن المخلص

المسيح في هذا الأمر لم يخرج عن وصايا العهد القديم ، إذ نجد وصية أخرى تقول لا تشته .

ثم حذرت الإنسان بالقول : لا تشته امرأة قريبك .

وكما ذكرنا قبل قليل فإننا هنا أيضاً بحاجة إلى نعمة الله وقوة روحه القدوس لكي نستطيع أن نحارب الشهوة في حياتنا . وإن هذا متوفر لدينا عن طريق التوبة والإيمان بالمخلص المسيح وبعمله الكفاري من أجلنا على الصليب . وعندما نأتي إلى الله لا يبد أن يطهر قلوبنا من أدران الخطية ، ويخلقنا خليفة جديدة ويجعلنا من أولاده . وبتعبير آخر يضع فينا طبيعة جديدة تسعى لفعل الصلاح والابتعاد عن الإثم .

توجد إذن مقاييس معينة ومفاهيم محددة للسلوك البشري ، وعلى عكس ما قد يظنه الكثيرون . وهذه المقاييس والمفاهيم أعلنها لنا المخلص المسيح نفسه ، الذي هو كلمة الله الأزلي وابنه الوحيد . وهي مدونة في الكتاب المقدس كلمة الله الحية . وما علينا نحن إلا الرجوع إليها وقراءتها وتطبيقها في حياتنا ، وقياس أو وزن تصرفاتنا وسلوكنا على ضوءها . أما الادعاء بعدم وجود مقاييس معينة فهو خداع للنفس وتضليل لها .

لكن الأمر الجميل في المسيحية أنها لا تحدد لنا المقاييس فحسب ، بل تقدم معنا كما نوهنا قبل قليل القدرة على تطبيق هذه المقاييس والمفاهيم . لهذا لا يوجد عذر لأي إنسان بأنه لا يستطيع السير بموجب هذه المقاييس . وهل ندري أعزائي أن الله قد أرسل المخلص المسيح من السماء لهذا الغرض بالذات ؟ أي أرسله لكي يحررنا من عبودية الخطية ويخلقنا خليفة جديدة ، وذلك بموته الكفاري على الصليب وقيامته المجيدة من بين الأموات .

ألا ترغب صديقي أن تحصل على هذه الخليفة الجديدة وأن تصبح من أولاد الله ؟ لم لا تأتي بالتوبة والإيمان بالمخلص المسيح وعمله الكفاري من أجلك وقيامته المجيدة، وعندها تتال أيضاً الغفران والحياة الأبدية.